مفهوم الأزمة الاقتصادية في التراث الإسلامي
(دراسة سياسة الخلفاء من خلال القرآن والسنة النبوية)

أ.د. عبد الواحد عثمان مصطفى صالح [1].
د. إخلاص عبد القادر عبد الرؤوف [2].

مقدمة:

الأزمة في اللغة تعنى الشدّة والقحط والضيق . بينما الأزمة المالية في الاصطلاح المالي هي اختلال عميق واضطراب حاد ومفاجئ في التوازنات الاقتصادية ، يتبعها انهيار المؤسسات المالية ومؤشرات أدائها ومن ثم تمتد هذه الآثار كل إلى النشاط الاقتصادي . في اللغة الصينية توجد صياغة بارعة لمصطلح الأزمة ، وهي عبارة عن كلمتين : الأولى تدل على (الخطر) والأخرى تدل على الفرصة التي يمكن استثمارها .أهم خصائص الأزمة هي عامل عدم التأكد . عامل المفاجأة والسرعة التي تحدث بها .سيادة حالة من الخوف والهلع قد تصل إلى حد الرعب وتقييد التفكير .

لقد وردت كلمة الأزمة في القرآن الكريم في قوله تَعَالَىٰ:﴿ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 125]. يقول الطبري حرج ضيّق . يقول: الضيّقُ في المعاش " . تقع الأزمة وفق الآيات القرآنية نتيجة لسببين هما:

1/ الابتلاء والامتحان والتخويف :قال تعالى:﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 155].

2/ نتيجة الكفر والظلم والطغيان : قال تعالى:﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾ [سورة الأعراف الآية: 96].

أهداف البحث :

دراسة نماذج الأزمة في التراث الإسلامي ثم استنباط الحلول الاقتصادية الممكنة لعلاج معضلات الاقتصاد السوداني .

---

(1) جامعة القرآن الكريم ـ كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية.
(2) جامعة القرآن الكريم ـ كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية.

مشكلة البحث :

هل التجارب التي مرت بها الدول الإسلامية من صعوبات اقتصادية يمكن تطبيقها في العصر الحديث ؟هل هذه التجارب كافية لتقديم حلول اقتصادية ناجحة؟

فرضيات البحث : الأزمات التي مرت بها الدول الإسلامية يمكن تطبيقها حالياً في حل مشكلة السودان الاقتصادية .

أولاً : مفهوم وتعريف الأزمة

الأزمة في اللغة [1]: الشدة والقحط والضيق . يقال أصابتهم سنة أزمتهم أزماً، أي استأصلتهم. وأزم علينا الدهر أي اشتد وقل خيره . يقال أزمة مالية وأزمة سياسية وأزمة مرضية والقحط والحمية و(في علم الطب) نهاية فجائية تحدث في مرض حاد كالتهاب الرئة والربو . في اللغة الصينية توجد صياغة بارعة لمصطلح الأزمة ، وهي عبارة عن كلمتين : الأولى تدلُّ على (الخطر) والأخرى تدلُّ على (الفرصة) التي يمكن استثمارها، وتكمن البراعة هنا في تصور إمكانية تحويل الأزمة وما تحمله من مخاطر إلى فرصة لإطلاق القدرات الإبداعية التي تستثمر الأزمة كفرصة لإعادة صياغة الظروف وإيجاد الحلول السديدة [2].

مفهوم الأزمة المالية في الاصطلاح الاقتصادي :

لا يوجد تعريف وحيد للأزمة المالية، إلا أن غالب التعريفات اتفقت على أنَّها اختلال عميق واضطراب حاد ومفاجئ في التوازنات الاقتصادية ، يتبعها انهيار المؤسسات المالية ومؤشرات أدائها ومن ثم يمتد هذه الآثار كل إلى النشاط الاقتصادي . فهي حدوث خلل كبير ومفاجئ في العلاقة بين العرض والطلب في السلع والخدمات ورؤوس الأموال، وهي لحظة حاسمة تحمل تحولاً نحو الأسوأ . وهذا المفهوم يتفق مع المعنى اللغوي للأزمة، من وجود الشدة والقحط، كما يعكس واقع

---

(1) الصحاح في اللغة، أبو نصر ،الفارابي، حرف ألف، باب أزم ،12/1 . القاموس المحيط ، الفيروزبادي، باب الميم فصل الهمزة ، 1390/1 . المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، 16/1.تاج العروس من جواهر القاموس ،أبو الفيض ،مرتضى، الزَّبيدي ، دار الهداية، فصل الهمزة مع الميم، 180/31 .

(2) عربي ، صحيفة الشعب اليومية ،الصفحة الرئيسية ، 2008/11/5 م .

الأزمة المالية العالمية التي تعكس وجود الشدة والقحط نتيجة الخلل في منح الائتمان العقاري، وتعثر المدينين.

بالإضافة إلى وجود تباين كبير بين الاقتصاد الحقيقي والاقتصاد المالي، فمعدل نمو وتراكم الديون يتجاوز أضعاف نمو وتراكم الثروات. والأزمة المالية من خلال ما سبق هي الانخفاض المفاجئ في الأسعار.

الأزمة المالية: هي اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في دولة ما أو عدة دول. وهي تطلق بصفة خاصة على الاضطراب الناشيء عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك. والأزمة إما أن تكون عنيفة أو بطيئة،[1] وقد تكون أزمة محلية يقتصر أثرها على بلد أو دولة معينة أو تكون عامة شاملة لعدة دول أو العالم بأسرهِ، وتعرف أيضاً بأنّها توقف في ارتفاع الأسعار للسلع والخدمات. ويستعمل الاقتصاديون الغربيون اصطلاح **الدورة** (Cycle) بدلاً من كلمة (Crise) التي تدل على الأزمة، بينما يلاحظ أنّ هناك فرق بين التعبيرين، فالأزمة تدل على الاختلال أو الاضطراب في حين أنّ **الدورة** (Cycle) تدل على الانتظام في التعاقب الذي تخضع له الظواهر الطبيعية. وتعليل الأزمات الاقتصادية لدى الاقتصاديين أنّهم يحملون النظام الرأسمالي مسؤولية هذه الأزمات ويعللونها بسبب الفوضى في الإنتاج وعدم المساواة في توزيع الثروات، أو قلة استهلاك الطبقة العاملة. ويفسر الكثير من الاقتصاديين الأزمة المالية بالعوامل النقدية، وبصورة خاصة سوء استعمال الائتمان عن طريق التوسع فيه بحيث يؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى رفع أسعار الفائدة، فيقل التداول النقدي، ويعجز المنتجون عن تصريف سلعهم، وهذا يؤدي إلى انخفاض في الأسعار بحيث يصل إلى حد يؤدي إلى زيادة الطلب فتنتعش الأسعار نسبياً، ويتسع نطاق الإنتاج ويقبل الأفراد على الاقتراض وتزداد عملية الخصم، وهكذا تبدأ الدورة من جديد بالمغالاة في الاقتراض، وإساءة استخدام نظام الائتمان[2].

مما سبق، وباستقراء تعريفات الأزمة يمكن استنباط مجموعة من خصائص الأزمة على النحو التالي:

---

(1) القاموس الاقتصادي – حسن النجفي – بغداد 1977م – أزمة اقتصادية، صفحة 89.

(2) نفس المرجع السابق.

خصائص الأزمة :

ويرى بعض العلماء أن الأزمات تتسم ببعض الخصائص ، هذه الخصائص للأزمة تؤدي إلى إعاقة التعامل معها ومعالجتها وهي[1]:

1/ عامل عدم التأكد :

قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة الآية: 118] ."ضاقت الأرض بسعتها ؛ لأنّه لم يخالطهم أحد ،وأيقنوا ألا حرز من الله"[2].

2/ عامل الضبابية والتداخل والتشابك والتعقيد :

قال تعالى:﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 17] . "الصيب المطر والظلمات مثل الشدة والرعد مثل التخويف والبرق مثل نور الإسلام، وفي المطر الرزق أيضاً فضرب الله ذلك مثلا لهم لأنهم كانوا إذا أصابوا في الإسلام رخاء وطمأنينة سروا بذلك في حال دنياهم وإذا أصابتهم شدة قطع بهم عند ذلك فلم يصبروا على بلائها"[3] .

3/ يصعب فيها التحكم في الأحداث:

قال تعالى:﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 65]"المراد بظلمات البرّ والبحر : شدائدهما . والاستفهام للتقريع والتوبيخ ، أي من ينجيكم من شدائدهما العظيمة ؟[4].

(1) ادارة الأزمات ، اعداد ربحى عبد القادر الجديلى ، نقلاً عن عليوة، السيد:" إدارة الوقت والأزمات والإدارة بالأزمات "، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، 2003م، ص ص (81 ، 82).

(2) تفسير مقاتل بن سليمان ، مقاتل الأزدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ ، 2003 م ، 76/2 .

(3) تفسير ابن أبى زمنين (مختصر تفسير يحيى بن سلام) ، أبو عبد الله بن أبي زمنين المري ،5/1 .

(4) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1420هـ ، 1999 م ، 22/2 .

4/ المفاجأة والسرعة التي تحدث بها :

ومع ذلك قد تحدث رغم عدم وجود عنصر المفاجأة. قال تعالى:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية: 44] "لأنّهم نسوا ما ذكروا بِه من البأساء والضراء"[1] .

5/ سيادة حالة من الخوف والهلع قد تصل إلى حد الرعب وتقييد التفكير:

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية: 155].. قال أبو جعفر: وهذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباعَ رَسوله صلى الله عليه وسلم، أنّه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور، ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه[2]. وقوله تعالى:﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾[سورة البقرة الآية: 214]. أخبر الله المؤمنين أنّ الدنيا دارُ بلاء، وأنّه مبتليهم فيها، وأمرَهم بالصبر وبَشّرهم[3].

معنى الأزمة في القرآن الكريم :

وردت كلمة الأزمة في القرآن الكريم بمعاني أخرى مثل الضيق والحرج . قال تعالى : ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[سورة الأنعام الآية: 125]. يقول الطبري[4] حرج ضيّق . يقول: الضيّقُ في المعاش ". ويقول تعالى :﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ [سورة الحج الآية :78]، قال الطبري[5]:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾ ، وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبَّدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه ، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفَّارة من بعض ، والقصاص من بعض ، فلا ذنب يذنبه المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج.

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير ، الشوكاني 426/2 .

(2) تفسير الطبري ، مصدر سبق ذكره ، 219/3 .

(3) المصدر السابق ، 219/3 .

(4) أبو جعفر الطبري ، جامع البيان ، الطبري ، 108/12.

(5) المصدر السابق ، الطبري ،689/18 .

وضد الحرج والضيق هو السعة قال تعالى :﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[سورة النساء الآية :100]. ويقول الطبري[1] "و السعة " هي: السعة في الرزق.

أسباب وقوع الأزمة :

تقع الأزمة وفق الآيات القرآنية نتيجة لسببين هما :

1/ الابتلاء والامتحان والتخويف :

قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سور البقرة الآية: 155] . إنّ الله يختبر عباده "بشيء من الخوف" للعدو "والجوع" القحط "ونقص من الأموال" بالهلاك "والأنفس" بالقتل والموت والأمراض "والثمرات" بالحوائج أي لنختبركم فننظر أتصبرون أم لا"[2].

2/ نتيجة الكفر والظلم والطغيان :

قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية: 96]، "ولو أنّ أهل هذه القرية الذين كذبوا بالله ورسله آمنوا واتقوا الكفر والمعاصي لفتحنا عليهم بركات من السماء" بالمطر "والأرض" بالنبات "ولكن كذبوا" الرسل فعاقبناهم"[3]. قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [سورة لأعراف الآيتان: 90-91]. قوم شعيب غشوا في المكيال والميزان والنقود لاعتقادهم بأن لهم الحق الكامل في التصرف في أموالهم. وهذا يؤدى إلى فساد كبير لعدم توفر العدل بسبب عدم ضبط الحقوق.

معنى الأزمة في السنة المطهرة :

في السنة المطهرة وردت كلمة الأزمة بمعاني أخرى مثل الضيق والهم نورد بعضاً من هذه الأحاديث الشريفة . عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم : " من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب"[4]. عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج قال : أن

([1]) المصدر السابق ، الطبري ، 112/9

([2]) تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، ص 163 .

([3]) المصدر السابق ، 57/3 .

(4) أبو داود ، 560/1 ، رقم 1520 . وابن ماجة ، 721/5 رقم 3819 .

قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب في عيال كثير فقال : رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمه العباس يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله ، فأتيا أبا طالب : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى تنكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم علياً فضمه إليه و أخذ العباس جعفراً فضمه إليه[1].

ثانياً نماذج الأزمة في التراث الإسلامي :

1/ حصار المسلمين في شعاب مكة :

سبب الأزمة:

ذهبت قريش إلى أَبي طالب وقالوا يا أبا طالب إنا جئناك مرة بعد مرة نكلمك في ابن أخيك أن يكف عنا فيأبى، وتعلم أنّك، وإن كنت فينا ذا منزلة لشرفك ومكانك، فإنّا لسنا بتاركي ابن أخيك حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهره فينا من شتم آبائنا وعيب ديننا فقال أبو طالب انظر في ذلك ، ثم قال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي قد جاءني قومك يشكونك وقد آذوني فيك وحملوني مالا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عنهم ما يكرهون من شتمك آباءهم وعيبك دينهم قال فاستعبر رسول الله (ثم قال والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر أبدا حتى أنفذه أو أهلك . فلما رأى أبو طالب ما بلغ من رسول الله [2].

وقوع الأزمة :

ثم عمد أبو طالب فدخل الشعب بابن أخيه وبني عبد المطلب وبني المطلب بن عبد مناف ، فرارا من قومهم لما خوفوهم من قتل رسول الله . وعرفت قريش أنّه لا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم معهم ، اجتمعوا على أنْ يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ، وكتبت قريش كتاباً على بني هاشم أن لا ينكحوهم

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، 666/3 ، رقم 6463 .دلائل النبوة للبيهقى ، 162/2 .

(2) السيرة النبوية ، محمد بن إسحاق ، باب ما نال أصحاب رسول الله من البلاء والجهد ، 52/1 . القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم ، أبو يوسف محمد زايد ، كتاب الدعوات.باب: تكرير الدعاء ، 473/1

ولا ينكحوا فيهم ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ولا يخالطوهم وعلقوها بالكعبة . وكانوا لا يخرجون من الشعب إلا من موسم إلى موسم ، فحصروا في الشعب ثلاث سنين وقطع عنهم المير حتى هلك من هلك ، حتى بلغهم الجهد ويسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب . وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل عليهم طعاماً ولا شيئاً مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه. فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد . فعلوا ذلك ليقتلهم الجوع والعطش . كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم، وأظهروا لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة الذي تعاهدوا فيها على محمد صلى الله عليه وسلم ورهطه، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

الاستعداد لتلافى الأزمة :

ثم إنّ الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوا فيها تظاهرهم على بني هاشم، ألأرضه، فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلا أكلته، وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبر أبا طالب، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدثك هذا، وليس يدخل إلينا أحد ولا تخرج أنت إلى أحد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني ربي هذا، فقال له عمه: إن ربك لحق، وأنا أشهد أنّك صادق، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بهذا الخبر فانطلق برهطه حتى دخلوا المسجد، والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروه تباشروا به، وظنوا أن الحصار والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلوه، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم ، فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح فاقبلوا ذلك منا، هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا، فجاءوا بها، ولا يشكون إلا أنهم

(1) القول الأقوم في معجزات النبي الأكرم ، أبو يوسف محمد زايد ، كتاب الدعوات.باب: تكرير الدعاء ، 473/1

سيدفعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم إذا نشروها، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، وإن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة، فلم تدع الله فيها أسما إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإن كان كاذباً فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإن كان صادقاً فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم المواثيق، وأخذوا عليه، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

الخلاصة : ماذا نتعلم من هذه التجربة التي مر بها المسلمون ؟

يمكن الاستفادة من قصة الحصار ما يلي :

1/ أهمية الإيمان في حياة الإنسان ، تحمل المسلمون كثير من ألوان العذاب والقسوة في شعاب مكة . والإيمان هو الذي أعطاهم القوة ليصبروا .

2/ حاصر الكفار المسلمين لمدة ثلاثة أعوام في شعاب مكة ومنعوا عنهم الطعام والشراب والبيع والشراء في السوق والتعامل مع الناس .

3/ مهما طال أمد الشدة فإن الله لا يتخلى عن عباده إذا صبروا على البلاء .

4/ حصار الولايات المتحدة للسودان يشبه إلى حد كبير حصار الكفار للمسلمين في شعاب مكة، لابد من أخذ العبرة من أسلافنا في علاج الأزمة.

2/ الأزمة في عهد عمر بن الخطاب

سبب الأزمة [2]:

ورد في كتاب أبي عبيدة عن عمر ، يذكر فيه أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم: ضرار وأبو جندل، فسألناهم فتابوا، وقال له: ادعهم على رؤوس الناس وسلهم أحلالٌ الخمر أم حرام، فإن قالوا: حرام، فاجلدهم ثمانين ثمانين، وإن قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم. فسألهم فقالوا: بل حرامٌ، فجلدهم، وندموا على لجاجتهم، وقال: ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث ، فحدث عام الرمادة .

وقوع الأزمة[3] :

(1) دلائل النبوة ، إسماعيل بن محمد الأصفهاني ، تحقيق محمد محمد الحداد ، دار طيبة – الرياض ، 198/1 . البدء والتاريخ ، مطهر بن طاهر المقدسي ، 231/1 .

(2) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، 448/1 – 449 .

(3) البدء والتاريخ ، المقدسي ، 313/1 . البداية والنهاية ، ابن كثير ، حققه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، 1408 هـ ، 1988 م ، 104/7 . مختصر سيرة الرسول – الرومي – بلتاجى ، 306/1 . الأدب

كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة ، أصاب أهل المدينة وما حولها مجاعة شديدة وجدب وقحط فهلك فيها كثير من الناس والبهائم

الاستعداد لتلافى الأزمة[1] :

لتلافى الأزمة قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضع خطة علاج على النحو التالي :

1/ طلب المعونة من الأمراء : كتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر.

2/ الاستغفار :

قال أهل بيت من مزينة لصاحبهم، وهو بلال بن الحارث: قد هلكنا فاذبح لنا شاة. قال: ليس فيهن شيء. فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه! فأري في المنام أنّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أتاه فقال: (أبشر بالحياة، ائتي عمر فأقرئه مني السلام وقل له إنّي عهدتك وأنت وفي العهد شديد العقد، فالكيس الكيس يا عمر)! فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه: استأذن لرسول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأتى عمر فأخبره، ففزع وقال: رأيت به مساً؟ قال: لا، فأدخله وأخبره الخبر، فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال: أنشدتكم الله الذي هداكم هل رأيتم مني شيئاً تكرهون ؟ قالوا : اللهم لا ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال: (اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد! وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وإنَّ دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال: (اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك، صلى الله عليه

المفرد ، البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبدا لباقي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، 1409 ، 1989 ، 198/1 رقم 562 .

(1) مختصر سيرة الرسول – الرومي – بلتاجى ، 306/1 .

وسلم، وبقية آبائه وكبر رجاله فإنّك تقول وقولك الحق قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [سورة الكهف الآية: 82]، فحفظتهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهم نبيك، صلى الله عليه وسلم، في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين). ثم أقبل على الناس فقال:قال تعالى:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح الآية: 10] [(1)].

3/ الاستسقاء :

قال كعب الأحبار لعمر إن بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، قال عمر هذا العباس عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وسلم و صنو أبيه و سيد بني هاشم ، فمشى إليه و كلمه و خرج معه الناس إلى المستمطر. وكان العباس قد طال عمره وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره و دعا عمر و العباس رضي الله عنهما وهو يقول: (اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعةٍ، فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم فأغنهم بغناك قبل أن يقطنوا فيهلكوا فإنه لا ييأس إلا القوم الكافرون). فنشأت طريرة من سحاب، فقال الناس: ترون ! ثم التأمت ومشت فيها ريح ثم هدأت ودرت، فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون: (هنيئاً لك ساقي الحرمين) . فأزال الله القحط [(2)].

السياسات الاقتصادية التي اتخذها عمر لعلاج الأزمة:

1/ تأخير الصدقة : أخر عمر رضي الله عنه أخذ فرض الزكاة من جميع الأموال بسبب الأزمة التي أصابت الناس ، فجدبت لها البلاد ، فأخرها عنهم حتى يأتي عام الخصب ، " ثم يقضيها منهم بالاستيفاء في العام المقبل"[(3)].

---

(1) انظر : الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، 448/1 – 449 . البدء والتاريخ ، المقدسي ، 313/1 .البداية والنهاية ، ابن كثير ، حققه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، 1408 هـ ، 1988 م ، 104/7 .

([2]) مختصر سيرة الرسول – الرومى – بلتاجى ، 306/1 . الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، 448/1 – 449 . البدء والتاريخ ، المقدسي ، 313/1 .البداية والنهاية ، ابن كثير ، حققه علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، 1408 هـ ، 1988 م ، 104/7 .

(3) كتاب الأموال ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، 705/1 .

2/ اتخاذ سياسة التقشّف وتقليل الاستهلاك : فلقد أقسم سيدنا عمر [1] أنّ لا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الناس. فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن، فاشتراها غلام لعمر بأربعين درهماً ثم أتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك، قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً. فقال عمر: أغليت بهما فتصدق بهما فإنّي أكره أن آكل إسرافاً.

3/ تعطيل حد السرقة في أوقات المجاعات لا قطع فيها ولذلك علّق عمر رضي الله عنه القطع في عام الرمادة حينما عمت المجاعة.

الخلاصة :

ماذا نتعلم من هذه التجربة التي مر بها المسلمون في زمان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؟. كيف يمكن أن نعالج مشكلاتنا الاقتصادية من هذه التجربة ؟

1/ الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى هو مفرج الكروب وهو الذي يرزق عباده .

2/ التعاون بين المسلمين وتوحدهم أمام المشاكل والصعوبات لأن يد الله مع الجماعة .

3/ عندما تتسع الفجوة بين الاستهلاك والإنتاج بسبب تدهور وسائل الإنتاج المطر لابد من تقليل الاستهلاك ، حالة كون الاستهلاك أكبر من الإنتاج والقول " بزيادة الإنتاجية " لا يتحقق إلا في الأجل الطويل.

4/ الأزمة الاقتصادية في عهد عمر ين عبد العزيز :

سبب الأزمة : سار الخلفاء الراشدون على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما خلف من بعدهم أمراء بني أمية وقعت مخالفات مالية وتجاوزات أدت إلى الفساد والظلم مما أدى إلى الضيق بالرغم من غنى الدولة الإسلامية . وفيما يلي بعض الشواهد على الظلم والفساد.

(1) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، 419/6 .

1/ عمر قبل الخلافة : كان عمر بن عبد العزيز من أعظم بني أمية ترفهاً وتملكاً، غُذي بالمُلك ونشأ فيه لا يعرف إلا وهو تعصف ريحه فتوجد رائحته في المكان الذي يمر [1].

2/ ترف خلفاء بني أمية : قام عمر بن عبد العزيز فقربت إليه المراكب فقال ما هذه فقالوا مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي وقال يا مزاحم ضم هذا إلى بيت مال المسلمين ، ونصبت له سرادقات وحجر كانت تضرب للخلفاء أول ما يلون فقال ما هذه فقالوا سرادقات وحجر يجلس فيها الخليفة أول ما يلي قال يا مزاحم ضم هذه إلى أموال المسلمين ثم ركب بغلته وانصرف . فأتي بالجواري فعرضن عليه كأمثال الدمى فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة من أنت ولمن كنت ومن بعث بك فتخبره الجارية بأصلها ولمن كانت وكيف أخذت فيأمر بردهن إلى أهليهن ويحملن إلى بلادهن حتى فرغ منهن [2] .

3/ الفساد وسرقة المال العام : لما افتتحت الأندلس أصاب الناس فيها غنائم فغلوا فيها غلولاً كثيراً حملوه في المراكب وركبوا فيها فلما وسطوا البحر سمعوا منادياً يقول: اللهم غرق بهم فدعوا الله وتقلدوا المصاحف قال فما نشبوا أن أصابتهم ريح عاصفة وضربت المراكب بعضها بعضاً حتى تكسرت وغرقت بهم [3] .

4/ الضرائب : كان الحجاج بن يوسف الثقفي[4] في عهد عبد الملك بن مروان أول من أبقى الجزية على من أسلم . لأنّ إسقاط الجزية يؤثر على حصيلة الخزينة . آثر المال على القرآن .

5/ المحاباة (يزيد بن معاوية) : كان يزيد الذي خلف أباه معاوية موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر [5].

([1]) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، ص 112 .

([2]) السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ، قطب إبراهيم محمد ،الهيئة المصرية ، 1988 ، ص 19 .

([3]) فتوح مصر وأخبارها ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري ، تحقيق محمد الحجيري ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ ، 1996 م ، ص 226 .

([4]) الفخري في الآداب السلطانية ، محمد بن علي ابن طباطبا (ابن الطقطقي) ، ص 41 .

(5) السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ، مصدر سابق.

6/ الرشوة[1]: وفد قوم إلى معاوية بن أبي سفيان فأعطى كل رجل منهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفاً فلما كانوا في الطريق سأل بعضهم بعضا فأخبروه بجوائزهم فكان الحتات أخذ سبعين ألفاً فرجع إلى معاوية فقال ، ما بالك خصصتني دون القوم،فقال إنّي اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان وكان عثمانياً فقال وأنا فاشتر ديني،فأمر له بتمام جائزة القوم.

وقوع الأزمة:

انتشر الظلم بسبب تعسف الأمراء على العامة ومن الشواهد ما يلي:

1/ كان روح بن الوليد بن عبد الملك أخذ أراضى وحوانيت لهم،فأتى ناس من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روحاً في حوانيت حمص وكانت لهم أقطعها لهم أبوه الوليد بن عبد الملك.

2/ منح القطائع والجوائز والأرزاق على آل بيت بني أمية "ولما أقبل عمر على رد المظالم وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاقهم الزائدة عن الحاجة ، ورد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل قطاعهم .

3/ كتاب عمر بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإنّك أزريت بمن كان قبلك من الخلفاء وسرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم نقصاً لهم وعيباً لأعمالهم وشاتماً لمن كان بعدهم من أولادهم ولم يكن ذلك لك فقطعت ما أمر الله به أن يوصل وعملت بغير الحق في قرابتك وعمدت إلى أموال قريش ومواريثهم وحقهم فأدخلتها بيت مالك ظلماً وجوراً وعدواناً فاتق الله يا ابن عبد العزيز وراقبه فإنك قد أوشكت لم تطمئن على منبرك أن خصصت ذوي قرابتك بالقطيعة والظلم.

الاستعداد لتلافى الأزمة[2] :

انصراف عمر عن مظاهر الخلافة وإقباله على إحياء الكتاب والسنة

اعتصام عمر بالكتاب والسنة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى : 310 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407 ، 211/3 .

(2) نفس المرجع السابق

قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوة على دين الله وليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا ، قال عبد الله بن عبد الحكم فسمعت مالكا يقول وأعجبني عزم عمر في ذلك . وفي خطبته في إباحة دخول المظلومين عليه بغير إذن قال وخطب عمر بن عبد العزيز الغرباء فقال يا أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أنساكم عندي وأذكركم ببلادكم ألا وإني قد استعملت عليكم رجالا لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم ألا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له علي ومن لا فلا أرينه ألا وإنّي منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال فإن ضننت به عنكم إنّي إذن لضنين والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقا.

تقتير عمر على نفسه وتوسيعه على العمال:

كان عمر قد طلق نفسه عن الفيء فلم يرزق منه شيئاً إلا عطاءه مع المسلمين فدخل عليه ابن أبي زكريا فقال يا أمير المؤمنين إنّي أريد أن أكلمك بشيء قال قل قال: قد بلغني أنك ترزق العامل من عمالك ثلاث مائة دينار قال:نعم قال ولم ذلك قال أردت أن أغنيهم عن الخيانة قال فأنت يا أمير المؤمنين أولى بذلك قال فأخرج ذراعه، وقال يا ابن أبي زكريا إنّ هذا نبت من الفيء ولست معيداً إليه منه شيئاً أبداً.

ورعه عن شم مسك الفيء :

قال وأتي عمر بن عبد العزيز من الفيء ذات يوم بعنبرة وعنده ليث بن أبي رقية كاتبه فأخذها بيده فمسحها ثم أمر بها فرفعت حتى تباع قال ثم إنه أمر يده على أنفه فوجد ريحها فدعا بوضوء فتوضأ قال فقلت له ما هذا الذي أصبت منها حتى تتوضأ قال عجبا لك يا ليث وهل ينتفع منها إلا بالذي وجدت أتؤكل أو تشرب قال وأتي عمر بن عبد العزيز يوما بمسك من الفيء فوضع بين يديه فوجد ريحه فوضع يده على أنفه وقال أخروه حتى لم يجد له ريحاً.

ورعه عن تسخين الماء على مطبخ العامة وتعويضه منه:

قال: وكان له غلام يأتيه بقمقم من ماء مسخن يتوضأ منه فقال للغلام يوما أتذهب بهذا القمقم إلى مطبخ المسلمين فتجعله عنده حتى يسخن ثم تأتي به قال نعم أصلحك الله قال أفسدته علينا قال فأمر مزاحما أن يغلي ذلك القمقم ثم ينظر ما يدخل فيه من الحطب ثم يحسب تلك الأيام التي كان يغلي فيها فيجعله حطبا في المطبخ قال وأصابته جنابة في ليلة باردة فأسخن له ماء فأتي به فقال أين سخنته قال على مطبخ العامة قال فنحه قال فناداه رجل وخاف عليه إن اغتسل بالماء البارد في تلك الليلة أنشدك الله يا أمير المؤمنين في نفسك فإن كان لا بد فعوضه قيمة ثم أدخله بيت مال المسلمين ففعل ذلك عمر رضي الله عنه.

خروج عمر من ماله ورده من مال المسلمين :

قال عمر بن عبد العزيز ما من شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء فإني عمدت إلى أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط فعملتها من صلب عطائي الذي يجمع لي مع جماعة المسلمين فجاءته غلتها مائتا دينار وجراب فيه تمر صيحاني وتمر عجوة فقال هات اصبب للقوم من هذه العجوة فهي أبرد وأصح قال وسمع النساء بمال قد قدم عليه فأرسلن إليه بابن له غلام ليعطيه من ذلك المال فلما جاء الغلام قال احفنوا له من ذلك التمر فحفنوا له من ذلك فخرج الغلام فرحا حتى لما انتهى إلى النساء فرأين التمر ضربن الغلام ثم قلن له اذهب فانثره بين يديه فأقبل الغلام فنثره بين يديه وأهوى بيديه إلى الذهب فقال عمر للوليد بن هشام من آل أبي معيط أمسك يديه يا وليد فأمسك يديه الوليد ودعا عمر بدعاء له كثير وكان من دعائه اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون بغض إلى هذا الغلام هذا الذهب كما حببتها إلى فلان ابن فلان أرسل يديه يا وليد فارتعشت يداه فما مس منها ديناراً، وانصرف فقال له رجل لقد استجيب لك يا أمير المؤمنين ثم قال عمر أخرجوا زكاة هذه المائتي دينار فقال الرسول يا أمير المؤمنين لقد أخذ خرص هذا الحائط قال يا بني ليس هذا من عملك قال فأخرجوا خمسة دنانير ثم قال دلوني على رجل أعمى ليس له قائد قال بينما القوم يتذاكرون إذ قال عمر لقد وقعت عليه وقد ذكرته وهو الشيخ الجزري الأعمى يأتي في الليلة المظلمة الماطرة يكتمه ليس له قائد

أخرجوا له ثمن قائد لا كبير يقهره ولا صغير يضعف عنه قال فأخرجوا له منها خمسة وثلاثين دينارا قال ثم دعا عمر بالذي يقوم على نفقة أهله فقال له خذ هذه الذهب فأنفقها على عيالنا إلى أن يخرج لي عطائي مع المسلمين أو يقضي الله قبل ذلك.

عمر وغلامه:

كان له غلام وبرذون يغل عليه فسأل الغلام عن حاله فقال الناس كلهم بخير إلا أنا وأنت وهذا البرذون قال اذهب فأنت حر.

لباس عمر قبل الخلافة وبعدها:

أتاه رجل فأمره أن يشتري له كساء بثمانية دراهم فاشتراه له فأتاه به فوضع يده عليه وقال ما ألينه وأعجبه فضحك الرجل الذي اشتراه فقال له عمر إنّي لأحسبك أحمق أتضحك من غير شيء قال ما ذاك ولكنك أمرتني قبل ولايتك أن أشتري لك مطرف خز فاشتريت لك مطرفاً بثمان مائة درهم فوضعت يدك عليه فقلت ما أخشنه،وأنت اليوم تستلين كساء بثمانية دراهم فعجبت من ذلك وأضحكني. فقال عمر: ما أحسب رجلاً يبتاع كساء بثمانمائة درهم يخاف الله عزّ وجلّ.

عري عمر إذا غسل قميصه:

أبطأ عمر يوماً عن الجمعة قليلاً فعوتب في ذلك فقال إنّما انتظرت قميصي غسلته أن يجف، ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضه وعليه قميص وسخ فقال لفاطمة زوجة عمر وهي أخت مسلمة بن عبد الملك ألا تغسلون قميصه قالت: والله ما له غيره وإن غسلناه بقي لا قميص له.

رد المظالم :

لما ولي عمر بن عبد العزيز رد المظالم والقطائع وكان سليمان بن عبد الملك قد أمر لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار فدارت في الدواوين حتى انتهت إلى ديوان الختم فلم يبق إلا قبضها فتوفي سليمان قبل أن يقبضها وكان عنبسة صديقاً لعمر بن عبد العزيز فغدا عنبسة يريد كلام عمر فيما أمر له به سليمان فوجد بني أمية حضوراً بباب عمر يريدون الإذن عليه ليكلموه في أمورهم فلما رأوا عنبسة

قالوا ننظر ما يصنع به قبل أن نكلمه فقالوا له أعلم أمير المؤمنين مكاننا وأعلمنا ما يصنع بك في أمورك فدخل عنبسة على عمر فقال له يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين سليمان قد كان أمر لي بعشرين ألف دينار حتى انتهت إلى ديوان الختم ولم يبق إلا قبضها فتوفي على ذلك وأمير المؤمنين أولى باستتمام الصنيعة عندي وما بيني وبينه أعظم مما كان بيني وبين أمير المؤمنين سليمان قال له عمر كم ذلك قال عشرون ألف دينار قال عمر عشرون ألف دينار تغني أربعة آلاف بيت من المسلمين وأدفعها إلى رجل واحد والله ما لي إلى ذلك من سبيل قال فرميت بالكتاب الذي فيه الصك فقال لي عمر لا عليك أن يكون معك فلعله أن يأتيكم انصرف من هو أجرأ على هذا المال مني فيأمر لك بها قال عنبسة فأخذته تبركاً برأيه وقلت له يا أمير المؤمنين فما بال جبل الورس وكان جبل الورس قطيعة لعمر بن عبد العزيز فقال عمر ذكرتني الطعن وكنت ناسياً يا غلام هلم ذلك القفص فأتي بقفص من جريد فيه قطائع من بني عبد العزيز فقال يا غلام اقرأ علي فكلما قرأ قطيعة قال شقها حتى لم يبق في القفص شيء إلا شقه قال عنبسة فخرجت إلى بني أمية وهم وقوف بالباب فأعلمتهم ما كان من ذلك فقالوا ليس بعد هذا شيء ارجع إليه فاسأله أن يأذن لنا أن نلحق بالبلدان فرجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين إن قومك بالباب يسألونك أن تجري عليهم ما كان قبلك يجري عليهم فقال عمر والله ما هذا المال لي وما لي إلى ذلك من سبيل قلت يا أمير المؤمنين فيسألونك أن تأذن لهم يضربون في البلدان قال ما شاءوا ذلك لهم وقد أذنت لهم قال قلت وأنا أيضاً قال وأنت أيضاً قد أذنت لك ولكني أرى لك أن تقيم فإنّك رجل كثير النقد وأنا أبيع تركة سليمان فلعلك أن تشتري منها ما يكون لك في ربحه عوض مما فاتك قال فأقمت تبركاً برأيه فابتعت من تركة سليمان بمائة ألف فخرجت بها إلى العراق فبعتها بمائتي ألف وحبست الصك فلما توفي عمر وولي يزيد بن عبد الملك أتيته بكتاب سليمان فأنفذ لي ما كان فيه.

عمر وجارية لزوجته :

نظر عمر بن عبد العزيز إلى جارية زوجته فاطمة بنت عبد الملك فكأنّها أعجبته فقالت له فاطمة أراها قد أعجبتك يا أمير المؤمنين قال عمر إنّها لعرضة

لذلك قال فأمرت فاطمة بإصلاحها وتهيئتها حتى إذا رضيت من ذلك بعثت بها إليه فقال لها لمن كنت قالت وهبني عبد الملك لفاطمة قال فلمن كنت قبل عبد الملك قالت كنت لقوم بالبصرة فأخذ عاملها أموالهم فكنت فبعثني إلى عبد الملك فوهبني لفاطمة فدعا بالبريد فكتب إلى عامل البصرة فأمره بردها إلى أهلها.

استخلاص عمر حوانيت بحمص من ابن الوليد وردها على أصحابها:

كان للوليد بن عبد الملك ابن يقال له روح وكان نشأ في البادية فكأنه أعرابي فأتى ناس من المسلمين إلى عمر بن عبد العزيز يخاصمون روحاً في حوانيت حمص وكانت لهم أقطعه إياها أبوه الوليد بن عبد الملك فقال له عمر أردد عليهم حوانيتهم قال له روح هذا معي بسجل الوليد قال وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم قد قامت لهم البينة عليها خل لهم حوانيتهم فقام روح والحمصي منصرفين فتوعد روح الحمصي فرجع الحمصي إلى عمر فقال هو والله متوعدتي يا أمير المؤمنين فقال عمر لكعب بن حامد وهو على حرسه اخرج إلى روح يا فيما أخذه كعب فإن سلم إليه حوانيته فذلك وإن لم يفعل فائتني برأسه فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكر له الذي أمر عمر فخلع فؤاده وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبرا فقال له قم فخل له حوانيته قال نعم فخلى له حوانيته.

إرجاع عمر مزرعته في خيبر إلى ما كانت عليه في عهد الرسول :

كان عمر بن عبد العزيز نظر في مزارعة فخرق سجلاتها حتى بقيت مزرعتا خيبر والسويداء فسأل عن خيبر من أين كانت لأبيه قيل له كانت في نحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيئا للمسلمين ثم صارت إلى مروان فأعطاها مروان أباك ثم أعطاكها أبوك فخرق عمر سجلها وقال أتركها حيث تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وضعه حلي زوجته في بيت المال:

قال عمر لزوجته فاطمة بنت عبد الملك قد علمت حال هذا الجوهر لحليها وما صنع فيه أبوك ومن أين أصابه فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجعله في أقصى بيت مال المسلمين وأنفق ما دونه فإن خلصت إليه أنفقته وأن مت قبل

ذلك فلعمري ليردنه إليك قالت له افعل ما شئت فوضع حلي زوجته في بيت المال ، فلما مات رحمه الله ولم يصل إليه، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك فامتنعت من أخذه وقالت ما كنت لأتركه ثم آخذه فقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه.

عجز عمر عن نفقة الحج وشوقه إلى الجنة :

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه إني قد اشتهيت الحج فهل عندك شيء قال بضعة شهر دينارا قال وما تقع مني ثم مكث قليلا ثم قال له يا أمير المؤمنين تجهز فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بني مروان قال اجعلها في بيت المال فإن تكن حلالا فقد أخذنا منها ما يكفينا وإن تكن حراما فكفانا ما أصبنا منها فلما رأى عمر ثقل ذلك علي قال ويحك يا مزاحم لا يكثرن عليك شيء صنعته لله فإن لي نفسا تواقة لم تتق إلى منزلة فنالتها إلا تاقت إلى ما هي أرفع منها حتى بلغت اليوم المنزلة التي ليس بعدها منزلة وإنها اليوم قد تاقت إلى الجنة

جرأة الناس بالتظلم له من أهل بيته وإدالتهم منهم :

أتاه رجل فقال يا أمير المؤمنين مظلمة دخلت علي قال عمر ومن بك قال فلا والله ما استطاع أن يقول فلان لبعض أهله مرتين أو ثلاثا فقال فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فأخذه فقال يا غلام ائتني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله إن فلانا ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه وارده عليه ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: { إن هذا لهو البلاء المبين }.

حديث عمر مع عمته وعرضه عليها عطاءه :

لما ولي عمر بن عبد العزيز أتت عمة له إلى فاطمة امرأته فقال إني أريد كلام أمير المؤمنين قالت لها اجلسي حتى يفرغ فجلست فإذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا فقالت لها فاطمة إن كنت تريدينه فالآن إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه فقامت فدخلت عليه فإذا بين يديه أقراص وشيء من ملح وزيت وهو يتعشى فقالت يا أمير المؤمنين أتيت بحاجة لي ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي قال وما ذاك يا عمة وقالت لو اتخذت لك طعاما ألين من هذا قال ليس عندي يا عمة ولو كان عندي لفعلت قالت يا أمير المؤمنين كان عمك عبد الملك يجري علي كذاو كذا ثم كان أخوك الوليد فزادني ثم وليت أنت

فقطعته عني قال يا عمة إن عمي عبد الملك وأخي الوليد وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين وليس ذاك المال لي فأعطيكه ولكني أعطيك مالي إن شئت قالت وما ذاك يا أمير المؤمنين قال عطائي مائتا دينار فهل لك قالت وما يبلغ مني عطاؤك قال فليس أملك غيره يا عمة قالت فانصرفت عنه.

عزم عمر على تعليم الرعية وحملهم على الشريعة:

قال عمر بن عبد العزيز إنّ للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً فمن عمل بها استكمل الإيمان، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان فإن أعش أعلمكموها وأحملكم عليها وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص.

جواب عمر إلى والي المدينة بشأن الشمع:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان والي المدينة أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر فيه أنه كان يقطع لمن كان قبلك من أمراء المدينة من الشمع كذاو كذا يستضيئون به في مخرجهم فابتليت بجوابك فيه ولعمري لقد عهدتك يا ابن أم حزم وأنت تخرج من بيتك في الليلة الشاتية المظلمة بغير مصباح ولعمري أنت يومئذ خير منك اليوم ولقد كان في فتائل أهلك ما يغنيك والسلام جوابه إليه بشأن القراطيس.

وكتب إليه أيضاً أمّا بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان تذكر أنّه قد كان يجري على من كان قبلك من أمراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذاو كذا فابتليت بجوابك فيه فإذا جاءك كتابي هذا فأرق القلم واجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة فإنه لا حاجة للمسلمين في فضل قول أضر ببيت ما لهم والسلام عليك.

جوابه إلى عامله على البصرة وقد سأله الإذن له في تعذيب العمال على خياناتهم:

كتب إلى عدي بن أرطأة وكان عاملاً على البصرة أمّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر أنّ قبلك عمالاً قد ظهرت خيانتهم وتسألني أن آذن لك في عذابهم كأنّك ترى أنّي لك جُنّة من دون الله فإذا جاءك كتابي هذا فإن قامت عليهم بينة فخذهم بذلك وإلا فأحلفهم دبر صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما اختانوا من مال المسلمين

شيئا فإن حلفوا فخل سبيلهم فإنّما هو مال المسلمين وليس للشحيح منهم إلا جهد أيمانهم ولعمري لأن يلقوا الله بخياناتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم والسلام.

كتابه إلى وهب بن منبه وقد فقد دنانير من بيت المال :

كتب وهب بن منبه إلى عمر بن عبد العزيز إنّي فقدت من بيت مال اليمن دنانير فكتب إليه عمر أمّا بعد فإنّي لست أتهم دينك ولا أمانتك ولكني أتهم تضييعك وتفريطك وإنّما أنا حجيج المسلمين في مالهم وإنّما لأشحهم فاحلف لهم و السلام.

إغناؤه الناس حتى لم يجد عامله في إفريقية من يأخذ منه الصدقة:

قال يحيى بن سعيد بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ولم نجد من يأخذها مني قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس فاشتريت بها رقابا فأعتقتهم وولاؤهم للمسلمين كتاب عمر في صفة ما كان المسلمون عليه وما صاروا إليه وبيان سياسته لهم، ولما ولي عمر بن عبد العزيز كتب أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله ولزوم كتابه والاقتداء بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهديه فإنّ الله قد بين لكم ما تأتون وما تتقون وأعذر إليكم في الوصية وأخذ عليكم الحجة حين أنزل عليكم كتابه الحفيظ الذي { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد } قال { وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا } وقال { ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون } فأقيموا فرائضه واتبعوا سننه واعملوا بمحكمه واصبروا أنفسكم عليه وآمنوا بمتشابهه فإن الله علمكم منه ما علمكم وأولكم يومئذ أقل الناس شوكة وأوهنه قوة وأشده فرقة[1] .

الخلاصة : ماذا نتعلم من هذه التجربة ؟

1/ سياسة التقشف : ألف الناس حياة الترف ، مما أدى إلى انقسام المجتمع إلى طبقة غنية وطبقة فقيرة . لهذا اتبع عمر بن عبد العزيز سياسة التقشف لإعادة التوازن الاجتماعي.

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم ، تحقيق : أحمد عبيد ، عالم الكتب ، 1404هـ – 1984م ، بيروت – لبنان

2/ في حالة الترف والرواج غالباً ما يتبع ذلك فشل في التشغيل الاقتصادي لتحقيق أقصى إنتاجية ممكنة لهذا لابد من التركيز على دالة الاستهلاك لحل الأزمة.

3/ عندما يختل التوازن بين حجم الإنتاج وحجم الاستهلاك لابد من سياسة التقشف . من خلال تقليل الاستهلاك ، لإعادة التوازن بين العرض والطلب .

ثالثاً : نبذة تاريخية عن الأزمات المالية والخسائر الناجمة عنها:

نبذة تاريخية عن الأزمات المالية[1]:

يخضع الاقتصاد الرأسمالي لما يعرف بالدورة الاقتصادية، وهي الشكل العادي لوجوده، فهو ينتقل من الانتعاش إلى الركود عبر الأزمة ثم يعود فينهض من الركود إلى الانتعاش، وقد عرف الاقتصاد الرأسمالي العديد من الأزمات منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومن أهمها:

•أزمة عام 1866م:

حيث تعرضت عدد من البنوك الإنجليزية للإفلاس، مما أدى في إلى أزمة مالية عصفت باستقرار النظام المالي البريطاني ، باعتباره المركز المالي الأساسي للعالم آنذاك، وتعد هذه الأزمة أقدم الأزمات المالية التي شهدها الاقتصاد الرأسمالي.

بعدها حدثت أزمات مالية حادة في أوربا في بداية القرن العشرين ترتبت عليها الحرب العالمية الأولى.

•أزمة الركود الكبير : 1929 :

تُعدّ أزمة الركود أو الكساد الكبير أشهر الأزمات المالية التي شهدها الاقتصاد العالمي ثم توالت الانهيارات ، %وأقواها أثرًا .إذ هبطت أسعار الأسهم في سوق المال الأمريكية بنسبة 13 % في أسواق المال الدولية، حيث استمر أثرها عشر سنوات.

•أزمة الديون البولندية :

وقعت عدة أزمات في ستينات القرن العشرين منها أزمة الديون البولندية ثم أزمات أخرى متعددة ومتشابهة.

•أزمة الديون العالمية مع بداية الثمانينات من القرن العشرين[1] :

(1) عبد الله شحاتة، الأزمة المالية :المفهوم والأسباب

ففي ظل تحرير القطاع المالي والمصرفي وحرية حركة رؤوس الأموال، توسعت البنوك التجارية العالمية في الإقراض لحكومات دول العالم الثالث .وقد اقترنت حركة التوسع في الإقراض بتعثر تلك الحكومات وإعلان الدول المدينة عدم قدرتها على الوفاء بأعباء الديون وخدمتها، كما فعلت المكسيك في العام 1982 وتبعها عدد من الدول

• انهيار بورصة لندن في أكتوبر 1987

• أزمة النمور الأسيوية التي عصفت ببلدان شرق آسيا في النصف الثاني من التسعينات.

•أزمة" فقاعات شركات الانترنيت[2] "2000 :

عرف العالم نوعًا جديدًا من الأزمات المالية بدأت عندما أدرجت أسهم شركات الانترنيت في سوق الأوراق المالية في الولايات المتحدة في أواخر القرن حيث ارتفعت أسعار أسهم تلك الشركات في سوق "NASDAQ" والذي يعرف بمؤشر ناسداك . وفي ذلك الوقت حقق عدد قليل من تلك الشركات أرباحًا حقيقية مما أدى إلى انفجار تلك الفقاعة في عام 2000م .

•آخر الانهيارات الكبرى ما حدث بعد 11 سبتمبر الشهير في الولايات المتحدة الأمريكية.

الأزمة المالية العالمية 2007–2008م:

بدأت الأزمة المالية العالمية 2007م ، وانفجرت في سبتمبر 2008، واعتبرت الأسوأ من نوعها منذ زمن الكساد الكبير سنة1929 م، ابتدئت الأزمة أولاً بالولايات المتحدة الأمريكية ثم امتدت إلى دول العالم ليشمل كل الدول الأوروبية والدول الآسيوية والدول الخليجية والدول النامية التي يرتبط اقتصادها مباشرة بالاقتصاد الأمريكي، وقد وصل عدد البنوك التي انهارت في الولايات المتحدة خلال العام2008 م إلى 19 بنكاً، كما توقع آنذاك المزيد من الانهيارات الجديدة بين البنوك الأمريكية البالغ عددها 8400 بنكاً [3].

---

(1) www.pidegypt.org/arabic/azma.doc 3

(2) عبد الله شحاتة مصدر سبق ذكره .

(3) د. فريد كورتيل ، الأزمة المالية مفهومها وأسبابها وانعكاساتها على الدول العربية كلية علوم التسيير ، جامعة البلايدة، الجزائر.ص 20

لقد كانت الأزمة المالية العالمية 2008 أسوأ كارثة اقتصادية منذ الكساد العظيم 1929. وقد حدثت على الرغم من جهود الاحتياطي الفيدرالي ووزارة الخزانة الأمريكية. أدت الأزمة إلى الركود الاقتصادي، حيث انخفضت أسعار المساكن أكثر من انخفاض الأسعار خلال فترة الكساد العظيم. بعد عامين من انتهاء الركود الاقتصادي، كانت نسبة البطالة لا تزال أعلى من 9٪. هذا لا يشمل أولئك العمال المحبطين الذين تخلوا عن البحث عن وظيفة. دمرت الأزمة المالية العالمية لعام 2008 وول ستريت وماين ستريت والصناعة المصرفية. لقد أنفق الاحتياطي الفيدرالي وإدارة بوش مئات المليارات من الدولارات لإضافة السيولة إلى الأسواق المالية. لقد عملوا بجد لتجنب الانهيار الكامل. كادوا لم ينجحوا.

أسباب الأزمة الاقتصادية 2008م:

في عام 2006، بدأت أسعار المساكن في الانخفاض لأول مرة منذ عقود، في البداية صفق أصحاب العقارات. كانوا يعتقدون أن سوق العقارات المحموم سيعود إلى مستوى أكثر استدامة. لم يدركوا أن هناك الكثير من مالكي المنازل المشكوك فيهم. بالإضافة إلى ذلك، وافقت البنوك على قروض بنسبة 100٪ أو أكثر من قيمة المنزل. ألقى الكثير باللوم على قانون إعادة الاستثمار، الذي دفع البنوك إلى الاستثمار في مجالات الرهن العقاري. وجدت العديد من الدراسات التي أجراها الاحتياطي الفيدرالي أنه لم يزيد الإقراض المحفوف بالمخاطر. ألقى آخرون باللوم على فاني ماي وفريدي ماك في الأزمة الاقتصادية بأكملها. بالنسبة لهم، الحل هو إغلاق أو خصخصة الوكالتين. إذا تم إغلاقها، فإن سوق الإسكان سينهار لأنها تضمن غالبية الرهون العقارية.

رابعاً : النتائج والتوصيات :

1/ النتائج :

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1/ وردت آيات قرآنية توضح أن الأزمات الاقتصادية تكون لأسباب :

(أ). الابتلاء والامتحان والتخويف : قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة البقرة الآية: 155].

(ب). نتيجة الكفر والظلم والطغيان : قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ سورة الأعراف الآية: ٩٦].

2/ وردت عدد من نماذج الأزمة في التراث الإسلامي مثل : حصار المسلمون في شعاب مكة وتمثلت الأزمة في (الحصار الاقتصادي) . الأزمة في عهد عمر بن الخطاب وتمثلت الأزمة في (المجاعة وغلاء الأسعار) . الأزمة في عهد عمر ين عبد العزيز وتمثلت الأزمة في (الفساد) .

3/ اتبع المسلمون في علاج هذه الأزمات سياسات اقتصادية مهمة مثل : التعاون وسياسة تقليل الاستهلاك وسياسة التقشف والإيمان بالله .

2/ التوصيات :توصى الدراسة بما يلي :

1/ تطبيق السياسات التي طبقها عمر بن الخطاب لعلاج مشكلة المجاعة .

2/تطبيق السياسات التي اتخذها عمر بن عبد العزيز في علاج مشكلة الفساد.

3/تطبيق السياسات التي اتخذت في أزمة الحصار الاقتصادي في شعاب مكة .